

## ماذا يريد العرب؟؟

### الكولونيل شربل بركات

حيرنا الغيارى على مصالح العرب ومستقبلهم حتى كدنا نضيع في متاهات أفكارهم ولم نعد نعرف ماذا يريدون بالفعل. فهؤلاء المزايدون في العروبة والغيرة على مصالح العرب، يضعون نصب أعينهم دوماً إسرائيل على أنها العدو الخارق الذكاء، من جهة، ولكن المعتدي دوماً من جهة أخرى، فلا يمكن أن يكون هناك تحرك لإسرائيل إلا ضمن "المخطط" الهادف إلى زعزعة العرب ودولهم. فإذا انفتحت إسرائيل تراهم يخافون على دول العرب من الوقوع تحت سيطرتها، وإن انزلت تراهم يترأضون لتفسير ذلك الانعزال بأنه ضد مصالح العرب وهو تخطيط أكيد لفعل شيء مضر.

فيوم حاول اليهود، في مرحلة فورة القوميات في أوروبا، وقبل قيام إسرائيل، أن يختاروا مكاناً يمكن أن يحققوا ذواتهم فيه فربطوه بتراتهم الديني وكتبوا عنه ليشجعوا أبناءهم على القدوم والاستثمار وشراء الأرض وإقامة المراكز الإنتاجية، قام العرب، وقد يكون بتوجيهات عملاء الهتلرية ولغاياتهم المعروفة يومها، برفض فكرة وجودهم على أرض فلسطين، مع أن العالم كان يمتلئ بالمجموعات المختلفة الحضارة واللون والجنس في كل أفريقيا وبعض آسيا والأميركيتين. ثم كانت الحروب الصغيرة وبعدها المجازر وأعمال الانتقام التي هجرت الناس وهيجت القلوب وأكثرت من الأحقاد فضاء من ضاع وارتفعت الجدران بين شعوب المنطقة وصار كل تعاون عمالة وكل زيادة في التحجر ونشر الحقد وطنية. يومها انغلق اليهود بين جدران "غيتو" جديد وتمسكوا به وعملوا على جعله جنينة في شرق كثر في الصحاري وقل فيه العمل. وبعد سنوات وحروب، وبعد جولات وصراعات، وبعد عز العرب الذين سبوا في أموال النفط والخير ونعم من الله لم يعرفوا استغلالها، فيستوعبوا الأهل المشردين ويحلوا مشاكلهم، ويسيروا في دروب التقدم وينزعوا عنهم وجه الحقد ليلبسوا وجه الحضارة فيعلموا متشددى اليهود، والذين يقول عنهم هؤلاء العرب بأنهم يتغنون بكره العالم لهم ويحبون أن يثبتوا أنهم مرفوضون، بأن بلاد العرب وخيراتها وشعوبها أوسع من أن يحتجزها فكر متزمت، وأكرم من أن تخاف من التنافس، وأعقل من أن تتجرف في تيارات الانتحار، وأرحب صدرا من كل أوروبا وسائر العالم. ألم يكن شعب الأندلس المسلم الذي يتغنى العرب به أكثر من تعايش وتقبل أجداد هؤلاء اليهود؟

ثم تأتي مرحلة جديدة يطبل العالم لها ويزمر ويقبل الكل بقيام دولة فلسطين وبسلام في الشرق الأوسط مقابل ما تعيده إسرائيل من الأرض، ويقبل عرفات بالصفة والقطاع، ويحلم العرب قبل

اليهود بهذا السلم الذي يعتقدهم من التشدد والتزمت، فإذا بالمتخوفين على أنظمتهم الديكتاتورية، التي يحميها الخوف من "العدو" فتستطيع قمع شعوبها إلى الأبد، تتمخض أفكارهم عن قبول بالسلام ورفض للتطبيع، وكأن السلام هو حالة جديدة من الهدنة إلى أن يشاء الله. وهنا وبينما كان الحالمون يحلمون بالانفتاح وكسر جدران "الغيتو"، جاء هؤلاء ليخلقوها عليهم من جديد، وقام الفكر العربي الثوري بتصوير إسرائيل وهي تمتص خيرات شعوب المنطقة. وبين أخذ ورد وتقدم وتأخر عادت الحرب بشكل آخر وخسر المراهنون على الانفتاح وربح التشدد. وفي غمرة تشدد العرب المكتشفين لسلاح قديم جديد أستعمله حسن الصباح الفارسي في القرن الثاني عشر ضد كل المسلمين الذين عارضوا أفكاره واستخدمه أحفاده هذه المرة بطرق أشد ضراوة وفعالية، عادت فكرة الانعزال تغلف إسرائيل وعاد العرب يرفضون جدار "شارون" ويشبهونه بجدار برلين ويعتبون على إسرائيل كيف تنعزل في "غيتو" جديد فالفلسطينيون يريدون العمل، في إسرائيل طبعاً، وإلا فسوف يتضرر اقتصادهم، ولكنهم في نفس الوقت يريدون "التصيد" متى شاءوا وتقتيل ما أمكن بسلاحهم الجديد على اليهود يركنون لهم فيعطونهم القيادة ويبقون على الإنتاج، فهم لا يزالون يذكرون الأندلس ويتغنون، كاليهود به، ولكنهم هناك كانوا هم القادة واليهود الصناعيين والتجار.

ويتهيج الأصوليون على أفكار الإرهاب السهل في عالم أزيلت منه الحدود، فيضربون في قلب أمريكا، ويضرمون ناراً لا يسهل إطفائها، فتنتقل الحرب إلى بلاد العرب، ويسقط طاغية، ويهدد آخر، ويتزعزع الملوك والكراسي، فيتفتق الفكر العربي من جديد عن مؤامرة كبرى، هذه المرة، لإنشاء إسرائيل أخرى، ولكن في العراق... نعم لقد اكتشف العباقرة "المستعربين" أن وراء سقوط صدام ومحاولة إنشاء نظام ديمقراطي في العراق مخطط لإسرائيل أخرى، وها هو "شارون" يرسل الجواسيس ومشتري الأراضي ليحقق حلم إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل...

احترنا مع هؤلاء العرب الأفذاذ ولم نعد نقدر على الاستيعاب، فحين خرج "شارون" نفسه من سيناء التي كانت أقرب نقطة له من النيل لم يقل أحد أن إسرائيل قد تجاوزت عن أحد طرفي "الحدود"، ويوم جاء "شارون" نفسه يغلق على إسرائيل الحائط الشرقي، ليس باعترافه فقط بالحدود، بل بتسييجها، قالوا بأنه يحاول أن يقضي على الفلسطينيين. واليوم يقولون بأنه هو نفسه يسعى إلى الوصول إلى الفرات لتحقيق الحلم المنشود "إسرائيل الكبرى"، فماذا بكم؟ أثبتوا على رأي ودعونا نتابع بنات أفكاركم على فيها من الحكمة، أو أقله علنا نعرف ماذا تريدون...

العالم كله يضيع مع العرب ولذا فلبنان ضائع أيضا منذ أن بدأ يلتصق بالفعل بالعرب هؤلاء ويدعي أنه منهم، يومها توقف الإبداع والإنتاج وصار التسول وانتظار الهبات هما مصدر الـوزق الأساسي، وصار اللبنانيون العرب إذا توقفت المساعدات والهبات نهبوا الدولة، ولذا فإن لبنان الذي لم يستدن مرة من أية دولة جعلوه في خلال سنوات قليلة جدا من التعريب أكثر من يستدين لتبلغ ديونه أضعاف أضعاف قدرة أبنائه على الدفع، فماذا سنبيع لنسد الدين؟ وقد صارت كل مشاريع الحكومات "الحريرية" تقوم على الإستدانة والدين، من باريس واحد إلى باريس اثنين وربما إلى ثلاثة وأربعة... والحبل على الجرار.

جل ما نريده للعرب ولبنان ولكل سكان الشرق الأوسط أن ينعموا بسلام ولو بالقوة، وأن يتخلوا عن السلاح وأحلام الغزو والربح من الغنائم، ويبدأوا ببذل الجهود للحاق بالركب العالمي بدل الانتظار في ساحات الشعوب وأمام السفارات ليقبلهم هؤلاء أجراء وعمال. فبلاد العرب واسعة، وقدراتهم كثيرة، وثرواتهم جاثمة تنتظر من يستغلها ويحركها، فتعلموا من اليهود أو من غيرهم، وانفتحوا على الناس أجمعين ليكون لنا الفخر في الانتساب لشعب يعرف أن يجاهد ويقدم الخير وأنكم والله لقادرون...

٢٠٠٣/١١/٢٣